الشخصانية الواقعية وأثرها في الفكر العربي المعاصر
محمد عزيز الحبابي أنموذجا

د, نوال عباسي

جامعة الأغواط ـ الجزائر

الملخص:

من المعروف أن لفلسفة محمد عزيز الحبابي أكبر الأثر في إثراء الفكر العربي الإسلامي المعاصر، و يظهر ذلك من خلال مشروعه الفكري الذي أدى إلى استئناف القول الفلسفي عن طريق إنشاء رؤية فلسفية شاملة للإنسان، فأصّل لشخصانية واقعية امتدت إلى قراءة للتراث العربي الإسلامي، على أساس أنه لبناء هوية عربية إسلامية لابد أن ننفتح على منجزات العصر، فنواكب تحولاته العلمية و الفكرية و الإنسانية من أجل بناء غد أفضل.

Summary:

it's know that the philosophy of Mohammed Aziz Lhababi had have a biggest impact in enriching the contemporary Arab Islamic Thought, and shows through his intellectual project, which led to the resumption of the philosophical say through the establishment of a comprehensive PHILOSOPHICAL vision of human beings,he founded a realistic Personalism which extended to read the Islamic Arab heritage, on the basic that the Arab Islamic identity must open up to the achievements of the era and acompaine his scientific , intellectual and human transformations in order to build a better tomorrow.

مقدمة:

إذا كان الفكر الفلسفي المعاصر لا ينشغل اليوم بموضوعات بعينها بقدر ما ينشغل بنفسه ويبحث عن أصوله وكيفية نشأتها، فقد عرف الفكر الفلسفي في المغرب خلال الربع الأخير من القرن العشرين انتعاشاً كبيراً، يمكن التأكد منه وتبيان ملامحه العامة، عندما نقارن إنتاج هذه المرحلة بالآثار الفكرية ذات الطبيعة الفلسفية التي تم إنتاجها في العقود السابقة وإلى حدود منتصف هذا القرن. إن اهتمام المفكرين المغاربة ينصب على مفاهيم إستراتيجية ترمي إلى مراجعة مفاهيم الفلسفة وقضاياها وإعادة النظر في التراث الفلسفي، سواء تعلق الأمر بالتراث الغربي أو بتراثنا العربي الإسلامي، بغية فهمه وتقييمه أو بالأحرى تملكه.

و هكذا نجد أن الكتابة الفلسفية المغربية لا تندرج في سياق تاريخ الفلسفة بمعناها الكوني والشمولي، بل أنها تنمو على هامش تاريخ الفلسفة وتساهم في صياغة مجراها الفكري في اتصال وانفصال عن هذا التاريخ. كما أن الملفت للنظر حسب رأي " كمال عبد اللطيف " أن تاريخ الفلسفة في

الفكر الفلسفي المغربي لا يحضر كمدارس وتيارات، قدر ما يحضر كمفاهيم وأطروحات موجهة باهتمامات تاريخية سياسية ثقافية محلية[1] . وطبعا هناك من يرى غير ذلك .

فمنذ صدور كتاب " العرب والفكر التاريخي " لـ " عبد الله العروي " والذي صدر سنة (1973) ، إلى كتاب " الإسلام وأوروبا " لـ " هشام جعيط " (1978)، إلى مشروعيّ " نقد العقل العربي " و" نقد العقل الإسلامي " للجابري و أركون (1984) [2] .نجد أنفسنا أمام عينة من الكتابات التي تندرج في خانة الكتابة الفلسفية المتميزة بانخراطها في الجدل السياسي والتاريخي المرتبط بالظرفية العربية الراهنة، وفي الوقت ذاته بتمثيلها لكثير من المفاهيم الفلسفية الحديثة والمعاصرة. وقد نجح بعض المفكرين المغاربة في رهان تحديث التفكير المغربي.

ومن بين هؤلاء: محمد عزيز الحبابي. حيث كان أكبر انشغال له هو موضوع الهوية و التاريخ، الهوية والتراث، الهوية والحداثة، الشخصانية الواقعية و التي شكلت نسقا فكريا لمشروعه الفلسفي، و هي من دون شك موضوعات تشكل تطويرا لإشكالات فكر عصر النهضة العربية، و المشكل المطروح هنا: فيما تتمثل جذور الشخصانية الواقعية؟ و إلى أي مدى تبرز أهميتها في الفكر العربي المعاصر؟

I. الفكر المغربي ورهانات التغيير:

إن الحديث الفلسفي عن الهوية يعبر عن درجة من تطور الوعي العربي أمام وقائع تاريخية تتسم بالهيمنة الأجنبية وتوابعها هذا من جهة، ومن جهة أخرى نجد أن النصوص المرتبطة بالحداثة تتميز بتفكيرها حول الطريقة التي بواسطتها يتم تجاوز التأخر التاريخي السائد. ولذلك نلاحظ أن أهم الكتابات الفلسفية العربية عامة و المغربية على وجه الخصوص، هي ضمن دائرة التاريخ والسياسة، ومهمة كيفية الحفاظ على الشخصية العربية. و لهذا نجد أن تحقيق الهوية في مواجهة التغريب تعد قضية أساسية تطرق إليها المثقفون وانقسمت بسببها الأمة.

غير أن التحدي الأعظم بالنسبة لكل فرق الأمة هو: كيف يمكن المحافظة على الهوية دون الوقوع في مخاطر الانغلاق على الذات ورفض كل مساهمة للغير؟

و كيف يمكن مواجهة ثقافات العصر دون الوقوع في مخاطر التقليد والتبعية ؟ إن هذه القضية هي التي نثيرها جميعا باسم الأصالة والمعاصرة[3].

---

1. أنظر كمال عبد اللطيف، **في الفلسفة العربية المعاصرة**، دار سعاد الصباح ، ط1 ، 1992، ص 121
2. المرجع نفسه، ص 129
3. أنظر حسن حنفي، **موقفنا من التراث**، بحوث المؤتمر الفلسفي العربي الأول الذي نظمته الجامعة الأردنية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت . لبنان، ط1،1985 ، ص 39، 40

وفي هذا السياق نجد أن من بين أهم الممثلين لهذا التيار الذي يحاول إيجاد مخرج لهذه الإشكالية هو الفيلسوف والأديب " محمد عزيز الحبابي " ففيما تمثل مشروعه؟.

2,المرجعية الغربية لفكر الحبابي:

تميز "الحبابي" داخل الحقل الفلسفي العربي بأنه رفقة "رونيه حبشي" الوحيدان اللذان تبنّيا النزعة الشخصانية. وقد حاول"الحبابي" بناء صياغة إسلامية مكتملة لها شكلت عماد مشروعه الفكري، قبل أن يتحول إلى مذهب جديد أطلق عليه " الغدّية " الذي شكل موضوع كتاباته الأخيرة [1].

وممّا هو معروف أن الشخصانية تيَّار فلسفي مثالي، لقي انتشارا واسعا في الفلسفتين الأمريكية والفرنسية في بداية القرن العشرين. و يعبّر جوهره عن مذهب أخلاقي واجتماعي يضع قيمة الشخص الإنساني فوق كلّ اعتبار؛ فهو قيمة مطلقة. وتهتمّ الشخصانيّة بالفرد في تطوّره التاريخي والاجتماعي، وفي ما يتميّز به عن غيره من آراء ومشاعر وقدرات تشكّل هويّته الخاصة أو الشخصيّة [2] .

و لئن أسند قصب السبق في استخدام مصطلح الشخصانيّة بالولايات المتّحدة الأمريكيّة (لبرونسون آلكوت Alcott) سنة 1863، وكذلك الشاعر (والت ويتمان ، Whitman) سنة 1867؛ فإنّ (باون Baun) (1847.1910) يُعدّ هو المؤسس الحقيقي للشخصانية الأمريكية المتميّزة بارتباطها الوثيق باللاهوت البروتستانتي. أمّا في فرنسا، فيعتبر (شارل رينوفييه ، Renouvier) أوّل من استعمل هذا المصطلح سنة 1903، في حين يعود الفضل في تأسيس تيّار الشخصانيّة الفرنسيّة لإيمانويل مونييه (1905-1950) (Mounier)[3] و دائرته الفلسفية المتمحورة حول مجلة Esprit (الفكر).

وحين نفذت الأطروحات الشخصانية بقوة في الأوساط الفكرية المسيحية، بلور " الحبابي" مقاربته في رسالة للدكتوراه بالسوربون بعنوان "من الكائن إلى الشخص"(1954)، وأطلق على هذه المقاربة تسمية " الشخصانية الواقعية "[4] .

حيث أصبح فيما بعد صاحب مذهب " الشخصانية الواقعية" ورائد هذا الاتجاه في عالمنا العربي المعاصر، وهو و إن كان يتلاقى مع الاتجاه الشخصاني في فرنسا، إلا أن " الحبابي " قد تخطاه ليبلور

1. السيد ولد أباه، **أعلام الفكر العربي (مدخل إلى خارطة الفكر العربي الراهنة)**، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، بيروت، ط1،2010، ص 170
2. الحاج كميل، ، **الموسوعة الميسّرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي**، بيروت- لبنان: مكتبة لبنان ناشرون،ط1، 2000، ص 307
3. إبراهيم مدكور، **المعجم الفلسفي**، القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميريّة،1983، ص 101
4. السيد ولد أباه، **أعلام الفكر العربي (مدخل إلى خارطة الفكر العربي الراهنة)**، مرجع سابق، ص170

شخصانية واقعية جديدة[1]. و قد أخرجت المطابع الجامعية الفرنسية، بباريس وهي أبهى وأعظم دار لنشر الكتب الجامعية والفكرية، أطروحة " الحبابي" في نفس السنة، و التي نالت تنويها خاصا من (السربون)، و رواجا عالميا.

لقد ألفت كتب حولها و أخرى اقتبست منها، سواء بالغرب أو بالعالم الثالث وتهدف تلك الأطروحة إلى إنقاذ الإنسان المعاصر ليستعيد كرامته رغم أخطار التشيؤ التي تحيق به منذ الحرب العالمية الثانية[2]. يقول " الحبابي": " شخصانيتي تستمد مصادرها وتتجه محاورها إلى واقعي كمنتم للعالم الثالث، وكمغربي كانت بلاده مستعمرة، سياسيا، وعسكريا، وهي الآن تعاني الاستعمار الاقتصادي والثقافي"[3].

و هو يقصد الهيمنة الغربية في كل المجالات على العالم الثالث الذي أصبح يعيش في ظل تبعية أدت إلى طمس معالم الشخصية العربية الثالثية بكل سهولة على وجه الخصوص، بمعنى أنه استعار أفكار غربية لمعالجة مشاكل ثالثية، بما يتناسب مع جذوره الأصيلة.

II. الشخصانية الواقعية وأثرها في الفكر العربي

يعتبر " الحبابي " مفكرا و فيلسوفا من رواد المنهج الشخصاني الذي نادى به الفيلسوف الفرنسي " أمانويل مونيي "[4] ، إن هذا الفيلسوف المسلم والمؤمن بالقيم الإنسانية وباحترام الإنسان من حيث هو كائن علوي، يركز جميع أبحاثه العلمية والفلسفية على الشخص الذي يعرف عنده بكلمة واحدة، لا تقبل التعددية، بمعنى أنه لا يقر إلاّ بتعريف واحد للشخص وهو " كيان و وجود "[5]. فما المقصود بالشخصانية الواقعية إذن؟.

1. معنى الشخصانية الواقعية: la signification de la personnalisme réaliste

إن الشخصانية التي يدافع عنها "الحبابي" ليست هي شخصانية "مونيي " كما يعتقد البعض، لأنها تعكس واقع "الحبابي" كمسلم عايش مشاكل الشعوب المقهورة والتابعة، وهي ليست شخصانية العالم الغربي المسيحي أو غير المتدين. وهذا ما يؤكده بقوله: " الشخصانية الواقعية، هذا الاتجاه الذي التزمت به، يختلف عن الاتجاه الشخصاني في بعض المذاهب الفكرية الغربية، وإن إضافة كلمة " واقعي" تعني الكثير، فشخصانيتي تستمد مصادرها وتتجه محاورها إلى واقعي كمنتم للعالم الثالث، وكمغربي كانت

1. عبد العال الحمامصي، **لجنة الترشيح لجائزة نوبل 1990، محمد عزيز الحبابي.الإنسان والأعمال**: الأديب، ط1،ج1، 1990، ص 39
2. أحمد اليابوري، **لجنة الترشيح لجائزة نوبل 1990، محمد عزيز الحبابي.الإنسان والأعمال**، مرجع سابق، ص30
3. المرجع نفسه، ص38
4. منير سغبيني: **الشخصانية الشرق أوسطية**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط1، 1982، ص56.
5. المرجع نفسه، ص57.

بلاده مستعمرة سياسيا وعسكريا. وهي الآن تعاني الاستعمار الاقتصادي والثقافي"[1].

كما يؤكد "الحبابي" بأن الشخصانية الواقعية كافحت تاريخيا، من أجل الحريات والاستقلال وقاومت مركب النقص الذي زرعه المستعمر في أذهان الشعوب. ليتمكنُ من استعادة شخصيتهم التاريخية و ترسيخ الثقة بالنفس مجددا. إنها فلسفة وجدت لظروف عصيبة عاشها المغرب والعالم العربي عموما و ما يزال.

و هذا ما يتضح لنا جليا من خلال سؤال طرحه " أحمد الشيخ " على فيلسوفنا حينما استفسر عن ما الذي ميّز شخصانيته "عن تلك الشخصانية السائدة في فرنسا وهي البلد المستعمر للمغرب؟.

فأجابه قائلا: " أولا . الشخصانية عندي واقعية. كانوا يفكرون من الناحية الفلسفية في الزمان كخلود. و كنت أفكر في زمان نسبي، كنا نعيش في إهانة فرضها علينا المستعمر الذي لا اعتراف له بالخلود. وكنت أريد أن نعيد الأشياء إلى مستواها الإنساني، كنت أريد أن أفرض شخصانيتي في مواجهة هذا المستعمر، كبشر مساو له، وكنت أود أن أثير فيه عقدة المجرم في حقي حينما يخاطبني و هو يتبختر بمركب الكمال"[2].

وبذلك نجد أن الشخصانية الواقعية انبثقت من وجدان شخص يتهم المستعمر بالغطرسة والإجرام في حقه و حق بلده، حيث قرر الرّد عليه ليثبت له بأنه يعي تماما ما يحدث، وهو يصارع من أجل تحرره وتحسين أوضاعه الاجتماعية.

وبالتالي تمثل الشخصانية الواقعية نسق فلسفي يتمحور حول الكائن ليجعل منه شخصا ينزع إلى التأنسن. ذلك أن الجنس البشري وحده، يصنع التاريخ، لأنه يسهم في حياة مجتمعية، يصارع مجاهيل الطبيعة و ظاهراتها ليسيطر عليها. وهكذا يحدد " الحبابي" نوعان من الصراع، فالأول مع الذات، والثاني مع الطبيعة، يلتزم الكائن البشري ليتحرر و يتشخصن بهما، أي يتحرر من كائن خام (مادة أولية)، إلى كائن متحرك، يعي انتماءه لمجتمع من الكائنات الحية الواعية.

و بالتالي نجد أن أكثر ما يميز فلسفة "الحبابي" الشخصانية هي نظرتها الواقعية والتجريبية لفعل التشخصن باعتباره نفيا للكائن المحض العاري من أي تحديد، ونبذا للوحدة المانعة لأي اختلاف. ونفي الوجود أو الكائن معناه تعبئته بشخصيات متعددة ومتحولة يشكل مجموعها ما يسميه "الحبابي" بالشخص. فالشخص عند "الحبابي" هو في بحث مستمر عن شخصية جديدة يتقمصها، أو كما يروق له بأن يطلق

1. أحمد ماضي، **أعمال ندوة الفكر الفلسفي بالمغرب المعاصر**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، مناظرات رقم 23، ص 34
2. المرجع السابق، ص 117

عليه، بقناع جديد يلبسه. أي أنه يتحقق كلما ابتعد عن الكينونة الساكنة للارتماء في دوامة التعدد والتطور اللذين لا نهاية لهما إلا بالموت.

وبذلك نجد " أن القيمة التي يظهر أنها تمثل الهدف النهائي الذي يجب أن تبلغه الحياة ليست عملية توفيق بين الكائن والشخص، لأن القيمة ليست وجودا متعاليا قد يكون مشروطا بالعدم الذي تحتويه في داخلها كما عند " مارتن هايدغر،Martin Heidegger "، وليست كما يراه " مونيي"، طائفة من الأشخاص، ولكنها تفتح كامل للكائن الذي يتشخصن حتى مرحلة تحقيق الإنسان وبما أن التعالي لا يرمي إلى الكائن، كذلك، لا ينحصر في الشخص "[1].

يبدو أن شخصانية "الحبابي" ترفض فكرة وحدة الذات البشرية، ممّا يجعل فلسفته فلسفة تعدد وصيرورة. فالواقع يثبت بأن كل شيء في الأنا البشري يتغير ويتعدد، ولا شيء يبقى على حال واحدة، سواء تعلق الأمر بالشخص أو بمحيطه النفسي والثقافي والاجتماعي والتاريخي، أو بالمفاهيم والأفكار، أو بالقيم والمواقف والرموز التي تؤطر أفعاله وسلوكه طيلة حياته. وهذا ما يلاحظه كل متأمل في ذاته و في ما يحيط به، وبالتالي نجد أن دعوة الشخصانية إلى التعدد والتطور هو ما يجعلها تنزع إلى الواقعية.

وإذا كان "الحبابي" يقرّ "للكائن" بدوره الأساسي في بنية الشخصية لأنه هو "ما يصير به الشخص شخصا وما يحول الشخص من الاندفاع في الصيرورة"[2].

فإنه مع ذلك يظل مجرد نقطة بداية لا أكثر، أو هو "الوعاء" الذي ينتظر الامتلاء بالشخصيات ليتحول إلى شخص.

و التشخصن هو الذي يملأ هذا الوعاء الفارغ، وينقله من حالته العامة (الكائن) إلى وضعه الخاص (الشخص)، أو إنه تلك الحركة التي "تفردت الكائن البشري"[3]. ولا يمكن أن يقوم التشخصن بدوره هذا لو لم يكن متصفا بالصيرورة والتجاوز والتحرير[4].

من أجل ذلك كان التشخصن أداة تفجير الكينونة من أجل تحويلها إلى صيرورة وتاريخ، وهذا ما جعل "الحبابي" يقول: "إن الشخص موضوع الحرية هو أكثر من الوجود و الدازين (الموجود المحدَّد بالمعنى الهيدجيري)" [5] .

---

1. لجنة الترشيح لجائزة نوبل 1991، **محمد عزيز الحبابي.الإنسان والأعمال**: الفيلسوف، ط1،ج2، 1991، مرجع سابق، ص14
2. **محمد عزيز الحبابي**، من الكائن إلى الشخص، دراسات في الشخصانية الواقعية، القاهرة، دار المعارف 1962، ص64.
3. المصدر السابق، ص142
4. المصدر السابق، ص142

5 .Mohamed Aziz Lahbabi .**Liberté ou libération** ?, Rabat, Okad, 1989 p175

ومن هنا نفهم أن الشخصانية الواقعية، اهتمت أكثر بقضية تطور الشخص وتتبع أشكال تجلياته المتعددة، ولم تكتف بتحديد ماهيته الثابتة والخالدة. وهذا ما جعل بالحبابي يذهب إلى اعتبار المقولات العرضية – كمقولات المِلْكية والإضافة والفعل والانفعال والزمان والكيف– المجالات الواقعية التي يحقق فيها الكائن تشخصنه، والأدوات الفعالة التي تمكنه من الاقتراب من "حقيقته" والقيام بفتوحاته الشخصانية. فما هو عرضي صار عند "الحبابي" هو القادر على تعبئة الكائن بمقتناياته التي تحقق هويته أو هوياته.

و هكذا نجد أن الشخصانية الواقعية تحاول أن تصف لنا طريق التشخصن، حيث تبدأ من الكائن الذي يتعالى عن نفسه وينمي ذاته ليتحول إلى شخص ثم إلى إنسان، على اعتبار هذا الأخير التفتح الكامل للأنا، والتحقق الأقصى للإمكانات التي يحتويها. فكون الشخص يصير إنسانا ليس معناه أن يصبح كل ما يريد أن يكون، بل كل ما يستطيع أن يحققه.

حيث يقول "الحبابي": "إن المذهب الواقعي Le personnalisme réaliste الذي أنتمي إليه يرمي إلى إيجاد حكمة عملية غير مكتف بالحكمة النظرية"[1]. مضيفا بأن "هذه المعية تعتبر قاعدة التشخصن، فالفرد لا يتجاوز فرديته نحو الشخص إلا مع الآخرين فهو بطبيعته ألفة وتواصل"[2].

ومن هنا يظهر أن فعل "التشخصن" فعل مضاد لفعل "التعريف"، لأنه إذا كان هذا الأخير يتجه نحو تقليص المعرَّف و تسويره وإبعاد كل ما ليس مقِّوما وذاتيا من صفاته العرضية للوصول إلى جوهره وماهيته، فإن "التشخصن" هو فعل للانفتاح على كل المؤثرات العرضية التي تُغنِي الأنا في مجرى تكفيه مع واقعه ومحيطه[3].

وهذا ما يدفعنا إلى القول بأن "الحبابي" رفع، بجهة ما، المقولات العرضية إلى درجة مقولة الجوهر بعدما استغنى عن هذه الأخيرة. ومما يشهد على ذلك أنه متى توقفت إحدى المقولات العرضية عن الفعل، كان ذلك إيذانا بتوقف الشخص عن التشخصن وتحوله إلى مجرد موضوع من الموضوعات، وعودته بالقهقرى إلى كينونته المحضة. إن تحليل الشخص من زاوية المِلْكية والفعل والإضافة وباقي المقولات العرضية الأخرى يؤشر على وجود رغبة قوية لدى "الحبابي" في تفتيت معنى الشخص وتقويض وحدة أناه[4]. و هذا ما جعل "الحبابي" يبتعد عن الكلام بلغة العام والمجرد عن المحطات أو المنازل الكبرى لمسيرة التشخصن، بل كان يستعمل لغة الخاص والملموس.

---

1. محمد عزيز الحبابي: **"الإنسان والأعمال" الجزء الثاني: الفيلسوف**، مجلة رعاية الترشيح لجائزة نوبل 1991، ط 1، ص 29.
2. محمد عزيز الحبابي: "**من الحريات إلى التحرر**"، مكتبة الدراسات الفلسفية، دار المعارف بمصر، 1972 ص 48.
3. .محمد المصباحي، **من تعدد الشخص إلى وحدة الانسان في شخصانية م.ع. الحبابي**، مدارات فلسفية ، العدد 5، الرباط. ص33
1. المرجع نفسه. ص33

3 . من الحرية إلى التحرر (تحقيق الشخصانية):

من الواضح أن "الحبابي" كان مدركا لمّا يحمله مفهوم الحرية من مخاطر تجعله يحيد عن هدفه، فيطلق العنان للفردانية المُسْتَأْثِرة وللصراع غير المتكافئ بين البشر.

حيث جاءت الشخصانية كرد فعل قوي ضد كل أشكال الاستلاب الروحي و التشيؤ المادّي الذي انتشر في الغرب، وفي هذا الصدد يقول " جوريس.Jaurés " : " إن الأشياء تستلب منا الجوانب الإنسانية"[1].

و كمقاومة لسلطة التشيؤ والمادية التي بلغت ذروتها في النازية و الستالينية بل وحتى في الرأسمالية العالمية. التي أصبحت تهدد إنسانية الإنسان صار لزاما على هذا الأخير أن يجد مخرجا له، للحيلولة دون انسحاقه تحت وطأتها، و أن لا يركن إلى المطالبة بالحرية بل يجب أن يخلق شروط التحرر،ولكن بالرغم من ذلك سنتوقف مع " الحبابي" لنرى كيف يحدد مفهوم الحرية حيث يقول : " أن مفهوم " الحرية" في الشخصانية الواقعية لا يعتبر مفهوما عاما مجردا: الحرية ليست فردية، باطنية صرفا لا تتصل إلا بفرد منفصل عن الآخرين"[2] .

ولذلك نجد أن الحرية عنده حريات: حرية السجين، وحرية الصحافة، وحرية البرجوازي، وحرية العامل، وحرية المعتقدات...الخ، " لأن الحرية قبل كل شيء هي التقيد، بحيث لا يفهم مدلولها إلا إذا تنازلت عن الاستقلال الكلي و التزمت التحديد" [3] . و ليست حرية واحدة عامة لأنا عميق كما كان يقول "هنري برغسون،Henri Bergson ". و كذلك رفض "الحبابي" الثنائية

البرغسونية التي تميز بين أنا عميق، حقيقي، باطني وبين أنا سطحي، خارجي. و بالتالي الحرية عنده إمكانية للفعل في محيط مُعطى للوصول إلى هدف محدد[4].

وليست تلك الطفرة الروحية التي تسمو فوق الواقع الجزئي المعاش؛ لقد صارت الحرية في شخصانيته مجرد "مجموع إيجابي وكيفي في طريق التحقق حسب إيقاع تشخصن الأنا"[5]، وليست مفهوما كليا مجردا أو صفة تطبع الذات البشرية في صميمها كما يدعي الوجوديون.

يقول " الحبابي " في نقد الاختيار السارتري: " نختار شيئا ما أو ضده، دون سبب قابل للتبرير، بل يجدر بنا أن نقول: نختار دون اختيار،و دون مقارنة، و دون حكم، ودون معايير ودون قيم "[6].

---

2. أنظر محمد عزيز الحبابي: "**من الحريات إلى التحرر**"، مصدر سبق ذكره، ص 172
3. المصدر نفسه. ص 11
4. المصدر نفسه.ص17
5. Mohamed Aziz Lahbabi .**Liberté ou libération** ؟, Rabat, Okad, 1989. p22 ؛45
6. Ibid. P152

1. أنظر محمد عزيز الحبابي: "**من الحريات إلى التحرر**"، **مصدر سبق ذكره، ص**213

و لذلك نجد "الحبابي" يتكلم عن التحرر بدل الحرية، لأنه أنسب للدلالة على الفعل الملموس والشاق للتخلص من حتميات الطبيعة و إكراهات الواقع البشري. ونفس الأمر بالنسبة للأنا، فالأنا أنواة وشخصيات لأنه " لا وجود لأنا مطلق بالنسبة للوعي... بل ليس هناك إلا أنا في وساطة"[1]. بل و يذهب " الحبابي " إلى حد " إثبات أن الشخصانية في صميمها، فلسفة تحرر" ، بخلاف البرغسونية فهي تعترف " بالديمومة " ولكن لا تعتبرها إلا " لوينة من لوينات الزمان"[2] ، ذلك أن التحرير لا يمكن بأي حال العثور عليه في ديمومة خالصة أو في " الأنا العميق" البرغسوني ـ كما أسلفنا الذكر . ، كما لا يمكن مماثلته بالحرية كحالة أو كمعطى من " معطيات الشعور المباشر" بل هو بالعكس فعل وعمل، و فاعلية شاملة و متواصلة يحياها كل منا في ارتباط بمجموع الإنسانية في حاضرها وماضيها وفي تصورها للغد.

وتعقيبا لهذا الكلام يقول " سالم يفوت": " إن هذا النقد لأكثر الفلسفات الفرنسية إغراقا في المثالية والذاتية، هو ما يشكل موضوع " **من الحريات إلى التحرر**" الذي نعتبره مكملا لكتاب " **من الكائن إلى الشخص**". وهو نقد لا يمكن اعتباره، " ثقافانيا" أملته اعتبارات وحاجات نظرية وفلسفية صرفة فحسب، تريد معارضة فلسفة بأخرى و فكر بآخر، بل و أيضا اعتبارات وحاجات

خصوصية تتلخص في الشعور بضرورة إخراج البلدان المستعمرة و الهامشية من هامشيتها عن طريق التحرر لأن الإنسان كما قال " الحبابي": " يكون من نفسه تاريخ تحرره كمساهماته في التاريخ "[3].

و بالتالي نجد أن هذا ما تقوم به الثقافة الخاصة بمحيط معين وحضارة محددة. لأن الشخص حصيلة شخصيات لا شخصية واحدة، طالما أن العلاقات الاجتماعية والسيكولوجية والتاريخية والثقافية التي تفصله في تغير مستمر وتتخذ أحوالا لا حصر لها ما دام على قيد الحياة.

و طبعا التكلم عن التعدد والتجريبية في شخصانية "الحبابي" يقودنا إلى الكلام عن التغير وما يرتبط به من نفي و زمانية وصيرورة ونسبية وتاريخية. فلطالما أكد "الحبابي" على أهمية "النفي" في فعل التشخصن. فـ"اللاّ"، مثلا، هي ما يميز النوع البشري عن غيره من الحيوانات من حيث هو كائن حر وقادر على التغيير، إذ بدون نفي ما هو موجود لا يمكن أن يحصل أي تغيير[4].

والتعيير هو الذي يعطي الوجود البشري معناه القوي، إذ بفضله يتمكن الإنسان من ولوج أفق الزمن وكتابة ملحمة التاريخ. والزمن هو المجال الذي يحدث فيه تطور الشخص وتفاعله مع الواقع المتحرك[5].

---

2. أنظر محمد عزيز الحبابي، **من الكائن إلى الشخص**، دراسات في الشخصانية الواقعية، مصدر سابق، ص 76
3. محمد عزيز الحبابي: "**من الحريات إلى التحرر**"، مصدر سبق ذكره، ص 12.
4. سالم يافوت : "**الهاجس الثالثي في فلسفة محمد عزيز الحبابي**" من كتاب "**دراسات مغربية مهداة للمفكر محمد عزيز الحبابي**" المركز الثقافي العربي دار البيضاء . المغرب، ط2،1987، ص 26

5 .Mohamed Aziz Lahbabi. **Liberté ou libération** .p61

1. Ibid. P57

ومن ثم كانت أحوال الوجود البشري لدى "الحبابي" متناسبة مع أصناف الزمن وأحواله: "فالحالية" هي زمن الشخصية، و"الديمومة" هي زمن الشخص، أما "الغد"، الذي كان يعتبره أهم لحظة في الزمن المشخصن، فهو زمن الإنسان[1].

و نفهم من هذه المناسبة بين أحوال الذات وأحوال الزمن، أن "الشخصية" هي وحدها التي تتمتع بالزمن بمعناه الحي، لأن مجال "الحالية" هو الذي يتحدى الأنا في كل لحظة ويطلب منه تشخصنا آنيا باستمرار. أما "الشخص" فيوجد خارج التزمن طالما أنه عبارة عن مجموع شخصيات؛ في حين يمكن اعتبار "الإنسان" غير داخل في إطار الزمن بحكم أن تحقيقه رهين بالمستقبل، أي بالزمن الذي لم يحصل بعد. وهذا ما جعل "الحبابي" يولي "الحالية" أهمية خاصة ويعتبرها إحدى شروط التحرر[2].

منبها إلى أن أي خروج من "الحالية" من شأنه أن يعرض الشخص إلى نكوص وانكماش[3]. و طبعا أن مراعاة مقتضى الزمن والتعلق بأحكامه في اعتبار الأشياء والمواقف والمذاهب والملل، سيجعل الشخص يتحلى بالنظرة النسبية معرضا عن الأحكام القطعية والنهائية. وتفسير ذلك عائد إلى أن لكل زمن مشكلاته و استلاباته وصراعاته وحرياته وثقافاته ورؤاه الخاصة، وليس هناك شيء فوق الزمن والتاريخ .

ويبدو أن اعتبار الزمانية بهذا النحو من الحدة هو ما جعل "الحبابي" يفتح فلسفته على المدينة والحياة، و" يصيغ رأيه انطلاقا من علاقاته مع المدينة"[4]، إيمانا منه أن أية فلسفة تنشد الخلود فلا بد لها من ركوب مركب الزمانية.

ومن ثم كان يعتبر أن "كل فلسفة لا تشكل جزء لا يتجزأ من حركة فكر وعمل عصرها تظل على هامش الفعل، وبالتالي لا يمكنها أن تدعي أنها تعمل من أجل التحرير البشري"[5]، ولذلك كان يرى أن "على الأبحاث الفلسفية إذن. أن يكون لها اتصال مباشر وصميمي مع الحياة، وإن هي نشدت الخلود فمن خلال الزمانية"[6].

ولعل تعلق " الحبابي" بالزمانية "الحالية" هو الذي طبع فلسفته بطابع الانفتاح، فكان لا يخشى أبدا أن ينهل من هذه الفلسفة والفلسفة المضادة لها، وأن يستعير من أصدقائه وأعدائه، دون أن يخشى من كشف استعاراته وانتماءاته، فقد كانت كل المعارف البشرية تهمه وترشده إلى فهم الشخص[7]. غير أنه في المقابل لم يكن مضطرا دائما إلى أن يتقيد بنتائج التيار الفكري الذي يستعير منه بعض أدوات تحليله.

---

2. أنظر محمد عزيز الحبابي، من الكائن إلى الشخص، دراسات في الشخصانية الواقعية، مصدر سابق، ص 131
3. Mohamed Aziz Lahbabi. **Liberté ou libération** .p187
4. Ibid. p163
5. Ibid. P152
6. Ibid. P178
7. Ibid. P174
1. Ibid. P153

وبالتالي تعد فلسفة "الحبابي" محاولة لفهم الذات بالمعنى الظاهراتي، وتمثل مجهودا فكريا هيرمينوتيقيا لتأويل دلالاتها التاريخية وبحثا مضنيا لاستنطاق ما خفي منها سعْيًا منه للتشخصن ومن ثم للتحرر. هو ذا الإنسان الذي يبحث عن معنى الكائن لا في كينونته بل في تاريخيته المتعيِّنة، لا في حريته الميتافزيقية بل في تحرره التاريخي. وبذلك لم تجذب فيلسوفنا أنطولوجيا الكائن عند "هيدجر" ولم تستهوه وجودية العبث لدى "جون بول سارتر،Jean-Paul Charles Aymard Sartre ". وهو إن كان أَمْيَل إلى شخصانية "إمانويل مونيي" فإنه أميل إليها بجردها من لاهوتها المسيحي، إلى حد أنه لا يحتفظ سوى ببعدها الإنساني.

فالكائن عنده بحاجة إلى التشخصن و التعيُّن في عالم يستمد منه الدلالة يقول في كتابه **(من الكائن إلى الشخص)**:" ما الشخص؟ إنه كائن له تاريخ "[1].

الكائن ليس بعد شخصا متعيِّنا فهو غفْلٌ بلا تاريخ، نَكِرَةٌ بدون هوية و لا يعدو كونه موضوعا لتسلُّط الأنظمة وسلعة في السوق و ذرة بين الجماهير الهلامية. ما الشخص؟ هو الكائن الذي ما ينفك يتعيَّن تاريخيا، هو الإنسان في طريقه إلى التشخصن.

إن الكائن استلاب وعمومية فارغة، و امتداد مكاني، ووجود بلا كيف، وشيء مادي ونقطة ضائعة في محيط، وبطاقة هوية بلا هوية، وسطح بلا عمق. أما والحال هذه، فإن الكائن الإنساني، وبفضل توثُّبه نحو ما ليس هو، وقدرته على وعيه الذاتي والغيري متجه إلى التَّعين و التشخصن في حركة ذائبة لا تتوقف : "إن الصيرورة هي "اللا" في حركيتها"[2].

إن المتمعن في فكر " الحبابي " لاسيما إذا حاول استنطاق المصطلح الفلسفي بتفتيته، والبحث فيما وراءه عن مكنون فيلسوفنا الحياتي، لعله سيبدو له فكره حينئذ كتجربة وجودية لانتزاع الاعتراف ونضال سياسي داخل الفكر.

و لا تخفى الحمولة الوجدانية لمثل هذه التجربة الفكرية، و كأنها صرخة رفض لكل ما يعاند الشخص ويحول دون تحقيق ذاته. و نلمس في هذه التجربة الحياتية ذات الأبعاد الوجدانية، نضالا من أجل انتزاع الاعتراف الفردي و الجماعي عبر مقاومتها لكل أشكال الاستلاب الروحي و الاستغلال المادي، التي حملتها الحداثة الغربية إلى شعوب العالم الثالث التي رضخت لتبعيتها. من هنا جاء ربط تشخصن الأنا باندماجه الفعلي في سيرورة التاريخ، لأن التشخصن هو فعل انتقال الكائن من حالة الظهور في ساحة الكينونة إلى حالة الاندماج في حلبة التاريخ .

2. أنظر محمد عزيز الحبابي، **من الكائن إلى الشخص**، دراسات في الشخصانية الواقعية، **مصدر سابق، ص**69

3. Mohamed azize lahbabi: **De l'être à la personne**. **essai de personnalisme réaliste**. l'harmattan. Paris. 3èEdition 1988.p10

وبما أن التاريخ الذي ينشأ فيه الشخص في تحول مستمر، كان عليه ألا ينقطع عن التشخصن، وأن يعمل على أن يتقمص كل مرة شخصية جديدة حسب مقتضى الحال و المواضعات الاجتماعية، والمواقف المذهبية والأوضاع النفسية التي يوجد في مواجهتها. يقول " الحبابي" :" أنا شخص لأنني في بيئة أتواصل فيها مع الآخرين، و أتواصل لأني ألتحم التحاما قويا بالـ " زمانية" و أندمج بتغلغل في التاريخ، جاهدا ما استطعت توجيه أعمالي طبقا لمنحنى هذا التاريخ. فوعيي ليس إلا ذاك الجهد المتواصل الذي أقوم به لأتكيف مع تجارب تدعوني، في كل لحظة، إلى أن أبدع وأخترع، إلى أن أحيا"[1].

فمن غير الممكن أن تطلب من الشخص أن يكون له موقف واحد ثابت على الدوام، لأن في ذلك استخفافا بكثافة وجوده وغنى صيرورته، إذ أن الشخص ذو الموقف الواحد هو الذي لم يتشخصن بعد، أو هو الذي وضع حدا لتشخصنه فانتكس إلى الوراء محتميا بحالة وجودية تُعفيه من ضنك التحدي وكد التجديد. إن الأنا عند " الحبابي" هو تلك القطعة من القماش القابلة دوما للتشكل في أشكال جديدة والاصطباغ بألوان غير منتظرة، رافضة أن تبقى على منوال واحد على امتداد الزمن والتاريخ.

من هنا نلاحظ بأن "وحدة الشخص" صارت في شخصانية " الحبابي " مهددة على صعيدين:

1. **على صعيد التعدد:** إذ الأنا لم يعد يملك شخصية أو "هوية" واحدة بل عدة شخصيات و"هويات".
2. **على صعيد الصيرورة:** لأن الشخص لم يعد له جوهر أو قوام ثابت يقاوم تقلبات الزمن وتغيرات التاريخ، بل أضحى عبارة عن توتر متحول عبر جريان التاريخ، أو عبارة عن مجموع من الأعراض والعلاقات لا معنى لها.

ومن دون شك يمكننا أن نستشف في هذا الجانب نوع من التفكك في الفلسفة الشخصانية؛ غير أن "الحبابي" كان يؤمن بضرورة ربط تفاعلات الشخص بجملة من الحتميات من جهة، وبمجموعة من الحريات والمقاومات من جهة ثانية. وهذا ما جعل الفلسفة الشخصانية تبتعد عن الانفصال و التفكك .

وبالتالي نجد أن التحرر هو المجموع الإيجابي للحريات، حيث لا تنفي حريةٌ الحريات الأخرى، عكس ما يُسْتَشَفُّ من الحرية الليبرالية الممتدة إلى ما لا نهاية، ونقيض ما يُفهم من الحرية الوجودية اللامبالية و التي تدنو أكثر من الوضْع العبثي الذي يستشعره الفرد الحديث المنعزل والمتحلل من الأواصر الاجتماعية.

لم ينبهر " الحبابي " بالحرية التي دافع عنها " برغسون، H . Bergson " و لم يتأثر بفكرة الأنا العميق الذي يحيا حريته بمنأى عن الغير، ذلك أنه مهما تمركزت الحريات البرغسونية في الأعماق غير أنها لم تستند على بنيات مادية ومجتمعية، بل إن كيانها العميق ذاته يبتعد عن الواقع الإنساني العام[2].

1. محمد عزيز الحبابي: "**من الحريات إلى التحرر**"، مصدر سبق ذكره، ص 179.

1. أنظر المصدر السابق، ص104

يقول " الحبابي ": " إن معارضتنا للبرغسونية تتولد عن تضارب يتصل بعمق المشكل، بقدر ما تتولد عن امتداد للمفاهيم "[1]. ولذلك رفض الانقسام الذي أحدثه " برغسون، H . Bergson " في الذات البشرية بين أناتين: "أنا عميق" يتجلى من خلاله الإنسان كائنا حرا، و"أنا سطحي" يكون تحت رحمة المواضعات الاجتماعية والحتميات الطبيعية. وقد ندد بهذا الفصل أولا لأنه يؤدي إلى السقوط في قلق قاتل من جراء تفتيت الذات البشرية، وثانيا لأن هذا "الأنا العميق" لا يمكن أن يكون إلا مظلما، مما يجعله غير قادر على إضاءة أوضاعنا وحل أزماتنا [2].

ولتجاوز هذا القلق والغموض قدم "الحبابي" بديل "الوجود أو الأنا الكلي"، الذي يضم كل مكوناته المادية والروحية، النفسية والمجتمعية، الثقافية والسياسية.

فالإنسان يكون أكثر حرية متى فعل "بجُماع شخصه"، لا بجانب دون آخر. وطبعا نجد لديه " نفس الموقف بالنسبة إلى أولئك الذين يزجون الحرية في الذاتية المحضة جاعلين منها مجرد انبثاق أو تيار أو معطى مباشر"[3]. حيث نجد أنه لا تستجيب الحرية الداخلية التي يعيشها الأنا العميق تلقائيا في الديمومة إلى مقتضيات التفاعل مع الشرط التاريخي ، ناهيك عن التواصل مع الآخر، مما يحوِّلها إلى استلاب داخلي أو إلى عزلة روحية وسط عالم عدائي.

لا تكمن الحرية إذن في نفي الشروط المادية للواقع مقابل إثبات القوى الروحية للشعور. و بالتالي لم يتفق " الحبابي " كذلك مع تلك النزعات الفلسفية التي تعرِّف الحرية بمظاهرها الخارجية، مُغْفِلَةً الأبعاد الوجدانية مثل الحق في التصويت أو في العيش الرغيد و ما إلى ذلك ، فرغم ضرورة الحرية السياسية والاقتصادية لكنهما لا تغنيان عن الشعور الداخلي: " فتقليص التحرر في حرية واحدة يحصره في معطى مباشر للوجدان (..) أما إذا انحصر التحرر في الحريات الخارجية فقط، فقدت الذات عالمها الداخلي "[4].

لم يواجه "الحبابي" بمبدأ "الكلية" هذا أولئك الذين يشطرون الذات البشرية إلى عنصرين متضاربين وحسب، بل وأيضا كل من ينظر إلى الإنسان باعتباره ذا طبيعة أحادية، مادية كانت أو روحية. وبنفس الروح الكلية والجامعة رفض " الحبابي" أيضا الفصل بين الأنا و النّحن، وبين الأنا والعالم، وبين الحرية والحتمية، والمتصل والمنفصل. فالأنا يفترض النّحن والعالم "لأن تاريخ ذات ما لا يمكن أن يكون منعزلا لا عن تاريخ النّحن والجماعات المنخرطة في التبعية المتبادلة المحايثة لبنيتها، ولا عن ثنائية ذات ـ موضوع، ولا عن علاقات الأنا ـ عالم كما تتجلى بالفعل في التجربة "[5].

---

2. أنظر المصدر السابق، ص217
3. Mohamed Aziz Lahbabi. **Liberté ou libération** .p29
4. محمد عزيز الحبابي: "**من الحريات إلى التحرر**"، مصدر سبق ذكره، ص183
5. المصدر السابق، ص186

1. Mohamed Aziz Lahbabi. **Liberté ou libération** .p158

ذلك أن وحدة الذات مع محيطها هو الذي يُشخْصنها ويمنحها أناها ويحقق لها غناها[1]. ومن ثمّ "فالأنا يبدأ في التحرر في اليوم الذي يعي فيه عبوديته ويحاول أن ينفلت منها بمعرفة العالم الخارجي وبمعرفة الأنا ـ ذاته باعتباره عنصرا مجسدا في النّحن"[2].

وفي نفس الإطار رفض " الحبابي " التعارض الكلاسيكي الذي أقيم بين الوجود والعقل[3] ، وبين العقل والانفعال، أو التقابل الذي نصب بين الفلسفة والدّين، وبين الفلسفات المثالية والمادية، أو الصراع الموجود بين التيارات الفلسفية المتباينة كالوجودية والماركسية والشخصانية... الخ. فالتشخصن في نظره يستطيع أن يتجاوز كل هذه التقابلات والصراعات المذهبية، لأنه حركة توحيدية "ترمي إلى تحقيق الكل الشامل".

ويرجع ذلك لإيمان " الحبابي " بأن: "الوحدة تبقى هي الفرصة الوحيدة للشخص من أجل أن يتشخصن ويؤنسن كل ما يحتك به، لأن كثافة الإنسان متعلقة بها"[4] ؛ وهو يؤمن بالوحدة على مستوى الجنس البشري عامة لا على صعيد الذات الفردية فحسب. وهذا ما جعله يطالبنا من أجل تحقيق الوصول إلى المرحلة الأخيرة من تشخصن الأنا وهي مرحلة " الإنسان "، أن نتخلى عن مجموع شخصياتنا التي اكتسبناها عبر احتكاكنا بالآخرين، و ذلك من خلال تطوير فعالياتنا السيكولوجية والاجتماعية والثقافية تطويرا نوعيا. وبالتالي يسمي " الحبابي " الفعل الذي يتجاوز به الأنا مرتبة "الشخص" إلى "الإنسان" بالتعالي، الذي يعرفه تعريفا عاما يمكن أن يندرج تحته مفهوم التشخصن عندما يقول عنه بأنه: "توتر باطني يدفع إلى تحقيق الممكنات التي تتحرر وتلح في أن تتحقق في الوجود"[5].

إلا أنه إذا كان "التشخصن" فعل تجاوز الكائنية، فإن "التأنسن" أو "التعالي" هو فعل تجاوز التشخصن. و لذلك كان على التعالي أن يحررنا من الزمن الفيزيائي، ومن الفوارق الاجتماعية والسيكولوجية والتاريخية والثقافية، للانتقال إلى المنزلة التي يصير فيها الفرد كل الناس[6]. هكذا تصل الشخصانية الواقعية إلى عقد تآلف بين الكينونة و التشخصن، والتعالي في الإنسان الكلي الذي يمثل الإنسانية في ذاتها بكل ما تحتويه من العناصر المتضاربة محايثة كانت أو متعالية. فكل ما كان متعددا مختلفا يصير في مقام الوصول، مقام الإنسان، شيئا واحدا.

ومع ذلك، رفض " الحبابي " أن يكون "تعالي" الشخصانية مرتبطا بالفوق، لأنه لو كان التعالي آتيا من فوق، لمّا تمكن الشخص من أن يرقى. بالإضافة إلى ذلك فأن الناس أنفسهم لا يرغبون في أن

2. Ibid. p38
3. Ibid. p162
4. Ibid. p176
5. Mohamed Aziz **réaliste**. Lahbabi: **De l'être à la personne**. **essai de personnalisme** l'harmattan. Paris. 3èEdition 1988.p347
6. أنظر محمد عزيز الحبابي، **من الكائن إلى الشخص**، دراسات في الشخصانية الواقعية، مصدر سابق، ص79
7 .Mohamed Aziz Lahbabi: **De l'être à la personne**. **essai de personnalisme** **réaliste**.p234

يصيروا آلهة، أو أن يتطلعوا إلى محاولة الوصول إلى الإنسان كامل المثالي، بل كل ما يطمعون فيه هو أن يكون كل واحد منهم إنسانا وحسب. و لذلك أراد من "التعالي الواقعي" أن يجري داخل العالم، إيمانا منه بأنه "بدون تعال لا وجود للشخص، وبدون عالم لا وجود للتعالي"[1].

و هكذا نصل إلى حقيقة مفادها بأن فيلسوفنا يولي أهمية كبيرة للتّحرر على الحرية، لأنه يعتقد بأننا ونحن نتكيف في العالم نغيّره، ولأننا و نحن نغيّره نتغير، وَاجِدُون أنفسنا في ديناميكية و في دياليكتيك بين وعينا الباطني وشرطنا الخارجي.

فالتحرر هو بالأحرى المجموع الايجابي و الديناميكي للحريات، فلا هي متحيّزة في المكان و لا منصهرة في الديمومة بل هي فيما بين الداخل والخارج، الفكر والمادة.

و في هذا الصدد يقول "الحبابي": "من هنا يتضح أن فلسفة التحرر واقعية. فعوضا عن الحرية التي تنتشر بمجموعها في أعماق الذات دون حيز مكاني، وعوضا عن تلك الحرية الأخرى التي تجعل طابعها المحوري خارج الكائن البشري، فإن التحرر ليس كلا قد تحقق، ولكنه مجموع حركي كمي و كيفي، يعمل على التحقق في تناسق مع تشخصن الأنا " [2].

أن " فلسفة التحرر لا ترمي إلى إثبات أن الكائن البشري حر، ولكنها تعمل على تبيان كيف يمكنه أن يتحرر أكثر؟ وكيف تستطيع حرياته أن تنسجم فيما بينها؟ كيما تنمو لديه القدرة التحررية التي هي فوق الحريات الخاصة "[3].

إن التحرر هو المجموع الكيفي للحريات مما يعني البحث عن فلسفة أقرب إلى الفعل في الواقع، و الممارسة في التاريخ، ولكن دون ابتلاع الـ "نحن" لـ "أنا" مثل ما هو حاصل في النزعات الفلسفية الشمولية المُخْتَزِلَةِ للفرد. يتمثل رهان الفلسفة الشخصانية في انخراط الشخص في الشرط التاريخي دون الذوبان في الـ "نحن" الطبقي أو في الانتماء الجمعي. ما يجمعنا حقا هو أننا أشخاص قبل أية أواصر طبقية أو أية روابط اجتماعية، باعتبارنا ذوات فاعلة تسمو إلى التحرر من خلال الفعل في العالم المعايش، وهو ما صبغ فلسفته بنفحة سياسية.

و يبرز هذا الهاجس التحرري والسياسي في ميل فلسفته إلى الفعل التاريخي وإلى معانقة الواقع وإلى الانخراط في قضايا ومشكلات العصر بحكم الانتماء الكوني أولا. والانتماء إلى شعوب العالم الثالث ثانيا.

1. Ibid. p165

1. محمد عزيز الحبابي: "**من الحريات إلى التحرر**"، مصدر سبق ذكره ، ص176
2. المصدر نفسه، ص177

إذ أنه لو تساءلنا عن ما منبع التحرر ؟ ستكون الإجابة: " أنه السياسة لذا من اللازم أن تؤخذ هذه الأخيرة كبعد من أبعاد التفكير ذلك أن كل تفكير بنّاء هو تفكير في مجريات العصر، فلا حكمة إذا انعزل التفكير عن العمل، إن النظريات "المجردة " إن لم تكن مرشحة للفعل انقلبت إلى حلم، هادئ، أو مزعج، إلى هذيان أو " جنون " التفكير يعيش بالسياسة كما يتنفسها، ذلك أن السياسة وعي وأخلاقية و معطيات عملية و علمية، فن في التدبير ودفاع عن إنسانية الإنسان. فهي تعانق قضاياه وتهتم بهمومه و معاناته"[1].

إن لفظة تحرر تفيد الفعل التاريخي من أجل تحيين الحرية، التي عوض أن تبقى وعيا باطنيا، تتجه إلى تغيير الشروط المادية للواقع، لأن الفرق بين الحرية والتحرر هو كالفرق بين الماهية و الفعل.

خاتمة:

و في الأخير نصل إلى أن الشخصانية الواقعية أرادت أن تتخذ لنفسها موقفا دائم التفتح على الحياة، وعلى المستقبل، مستهدفة تجاوز التعدد العرقي و الاختلافات الدينية والمذهبية، فاختارت أن تتجاوز كل المعارضات و التناقضات فيما تساعد على الوصول إلى ما بين الكائنات البشرية من وحدة نوعية. ذلك أن التفلسف ما هو إلا الانطلاق من أنسب السبل المطابقة للحياة، مع معشر إنساني ضمن عالم يسوده التعاطف والتضامن لاصق بالواقع التصاقا جد صميمي.

وذلك من منطلق أن فيلسوفنا مدرك تمام الإدراك للبون الشاسع بين الغرب الليبرالي الذي صارت فيه الحرية حقا وشرطا وجوديا، والعالم الثالث الذي وإن تخلص من الاستعمار فمازال عليه أن ينخرط في صيرورة التحرر.

و بالرغم من أن شخصانية " الحبابي" قد جاءت على مراحل من خلال كتاباته المختلفة، إلا أنه عند دراستها عن كثب نجدها واحدة في مبادئها، ومضمونها، و غاياتها. همها الوحيد الارتقاء بالإنسان العربي المسلم أولا، و بالإنسان أينما كان. لأنه شخص مميز، مستقل، حر من حقه أن يعيش بكرامة، لذلك عليه أن يعي ذاته ووجوده في ماضيه، و يسعى لتحقيق أنسيته في مستقبله. أي أن يعي التراث الذي يمثل ماضيه، و المعاصرة التي تحقق حاضره و مستقبله. و يبقى موضوع بحثنا مفتوح بحيث يواجهنا السؤال التالي: هل الحبابي يتجه من الشخصانية الواقعية إلى الإسلام أم العكس؟

***قائمة المراجع:**

1. محمد عزيز الحبابي، **من الكائن إلى الشخص**، دراسات في الشخصانية الواقعية، القاهرة، دار المعارف 1962
2. محمد عزيز الحبابي: "**من الحريات إلى التحرر**"، مكتبة الدراسات الفلسفية، دار المعارف بمصر، 1972

1.أنظر سالم يافوت: "**الهاجس الثالثي في فلسفة محمد عزيز الحبابي**" من كتاب "**دراسات مغربية مهداة للمفكر محمد عزيز الحبابي**"، مرجع سابق، ص 27،26

3. أحمد ماضي، **أعمال ندوة الفكر الفلسفي بالمغرب المعاصر**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، مناظرات رقم 23

4. إبراهيم مدكور، **المعجم الفلسفي**، القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميريّة،1983

5. إبراهيم العريس، **لجنة الترشيح لجائزة نوبل 1990، محمد عزيز الحبابي.الإنسان والأعمال**: الأديب، ط1،ج1، 1990

6. حسن حنفي، **موقفنا من التراث**، بحوث المؤتمر الفلسفي العربي الأول الذي نظمته الجامعة الأردنية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت . لبنان، ط1،1985

7. الحاج كميل، **الموسوعة الميسّرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي**، بيروت– لبنان، مكتبة لبنان ناشرون،،ط1، 2000

8. السيد ولد أباه، **أعلام الفكر العربي (مدخل إلى خارطة الفكر العربي الراهنة)**، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، بيروت، ط1،2010.

9. سالم يافوت: "الهاجس الثالثي في فلسفة محمد عزيز الحبابي" من كتاب "دراسات مغربية مهداة للمفكر محمد عزيز الحبابي" المركز الثقافي العربي، دار البيضاء . المغرب، ط2، 1987.

10. عبد العال الحمامصي، **أحاديث حول الأدب والفن والثقافات**، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1987

11. كمال عبد اللطيف، **في الفلسفة العربية المعاصرة**، دار سعاد الصباح ، ط1 ، 1992

12. لجنة الترشيح لجائزة نوبل 1991، **محمد عزيز الحبابي.الإنسان والأعمال**: الفيلسوف، ط1،ج2، 1991

13. منير سغبيني: **الشخصانية الشرق أوسطية**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط1، 1982.

14. Mohamed Aziz Lahbabi .**Liberté ou libération** ؟, Rabat, Okad, 1989

15. Mohamed Aziz Lahbabi: **De l'être à la personne**. **essai de personnalisme réaliste**. l'harmattan. Paris. 3è Edition ,1988